

هل سنجنى غدا ثمار نظام ادارة الجودة الشاملة في التعليم العالي؟ أم سنجمع عصيرها في برميل مخروم؟

على الرغم من وجود محاولات عديدة لتطبيق نظام إدارة الجودة الشاملة في البلاد ومعرفة أساسياتها ومبادئها في المؤسسات التعليمية الا انه ومع ذلك لم نجد هناك آلية او خارطة طريق شفافة وعملية في التطبيق وبشكل خاص في برامج الاعتماد الأكاديمي بين المؤسسات التعليمية والتي من المفروض ان تبنى وفق الاسس العلمية الدقيقة وخطة عمل رصينة بمدخلاتها او ما تسمى بالمصفوفة لمواكبة التطور الذي تشهده العملية التعليمية في كثير من بلدان العالم وذلك لوجود قصر في النظر بالية تصميم البرامج وفق المصفوفات الادارية والعلمية التي تحقق الاتصالات بين الانشطة المختلفة داخل المنظمة التعليمية وخارجها وبشكل عملي وعلمي، لذلك تعددت الاجتهادات نتيجة ضعف دور القيادات الادارية والخبرة والاداء المطلوب فعلا في تطبيق ادارة الجودة الشاملة . لذلك فهناك من لا ينظر الى مفهوم نظام إدارة الجودة كونها "فلسفة إدارية حديثة تأخذ شكل المنهج أو النظام الإداري الشامل والقائم على إحداث تغييرات إيجابية جذرية لكل شئ داخل المنظمة التعليمية بحيث تشمل هذه التغييرات في الجانب الفكري ، السلوك ، القيم ،المعتقدات التنظيمية ،العلاقات المجتمعية ،المهارات المعرفية ، المفاهيم الإدارية ، نمط القيادة الإدارية ، نظم وإجراءات العمل والأداء وغيرها من المتطلبات وذلك من أجل تحسين وتطوير مكونات المنظمة التعليمية للوصول الى أعلى جودة في مخرجاتها وبأقل تكلفة بهدف تحقيق أعلى درجة من الرضا بالمنتج التعليمي بما يحمله الطالب من خزين علمي او المنتج التعليمي المتمثل بالبحث العلمي .لان الجودة تعني ايضا القيام بالعمل الصحيح بشكل جيد ومن أول مرة مع الاعتماد على تقييم الجهات المستفيدة وسوق العمل في معرفة تحسين الأداء للعملية التعليمية. وبين هذا التعريف وذاك كان لنا هذا اللقاء مع الخبير الاستشاري في جامعة بابل السيد عامر احمد غازي مدير قسم ضمان الجودة والاداء الجامعي فيها للوقوف على خارطة الطريق في برامج وزارة التعليم العالي في تحقيق ادارة الجودة الشاملة اخذين بنظر الاعتبار خبرته الكبيرة بهذا المضمار وما يمتلكه من شهادات دولية ومحلية تؤهله وتساعدنا في الوصول الى الحقائق بلحوا ومرها ، فتمثل هذا اللقاء باجاباته الصريحة التي تشتت القلق والخوف من النتائج في داخلنا تارة وابعاث الامل في نفوسنا تارة اخرى .فكان سؤالنا الاول : - هل تعتقد ان وزارة التعليم العالي والبحث العلمي تسير بالاتجاه الصحيح في برامجها في ضمان الجودة والاعتماد الاكاديمي وبخطة شفافة ورسينة؟ علينا اولاً ان نؤمن بان جودة العملية التعليمية تتوقف على القيادات الادارية و جودة التشريعات واللوائح في الوزارة ونظامها الذي من المفروض ان يكون لامركزيا وعليه فلا بد منه ان تكون البرامج مرنة وواضحة حتى تكون عامل مساعد ووعواً لادارات الانشطة العلمية المختلفة في المؤسسات التعليمية من اجل مواكبة التغييرات والتحولت السريعة في البيئة التعليمية فلا قيمة للنجاح الذي ينتج او يتحقق بفعل تعجيل وزخم الآخرين اي خارجي ومن مؤسسات اجنبية دون الاخذ بالاعتبار كفاءة مواردنا البشرية واعني خبراء البلد في العملية التعليمية وبيئتنا التعليمية وقدرات ومهارات علماءنا لانه سيكون نجاح وقتي وضبابي الاهداف ويتراجع مع الزمن وعليه علينا ان نبدأ في اعادة تصميم بناء خطة جودة التعليم في الوزارة اولاً وتصميم برامجها ثانياً مع تحديد الخصائص التعليمية لعضو الهيئة التدريسية بضمنها ولاءه لمنظمتهم ورسالتهم التربوية والعلمية وهذا ما اناشد به كثيرا في لقاء بل علينا اعادة النظر بدءاً من التشريعات والقوانين والتعليمات ونزولاً الى تصميم المناهج وبرامج المقررات وتصميم المقرر الدراسي وطرائق التدريس ، بل علينا ايضا ان نبحت عن القيمة المضافة في كل جهد علمي وتربوي وبحث علمي نابع من الايمان بتذليل الصعوبات والتحديات الحقيقية التي تواجهنا ، لذلك كثيرا ما اسأل نفسي ايضا هل سنجنى غدا ثمار ادارة الجودة الشاملة في التعليم العالي ؟ ام سنجمع عصيرها في برميل مخروم ؟ فالتحديات كبيرة وربما تحتاج الى وقت لا كما يتصورها البعض لانها فعلا مرتبطة بثقافة وايمان الانسان مهما كانت هويته في العملية التربوية والتعليمية . - هل المس من اجابتك حالة من التشاؤم ام هو جرس انذار ينذر بضعف جودة العملية التعليمية ولمن يهمه الامر من القيادات الادارية في المنظمة التعليمية؟ لا ياخي لاحظ ان كلامي ليس به اي تفسير يوحي للخطأ بالفهم او للتشاؤم لاننا شعب ولد وخلق ضمن بيئة اجتماعية صبوراً وطموحاً ومتفانلاً ينظر الى الامل في كل خطواته و لانه شعب خلاق علم البشرية القراءة والكتابة لذا ما اود الاشارة اليه في كلامي هو علينا ان نبدأ بالاتجاه الصحيح وتوجيه القدرات والادوات لذلك ، لان اول عنصر من عناصر نظام ادارة الجودة الشاملة في التعليم هو ان نهتم ببرامج التخطيط فالامل لاتبنى ولا تتقدم بدون تخطيط سليم واننا نفتقر بجدية الى هذا العنصر اي التخطيط السليم في مسار العملية التعليمية لذلك من هنا يبدأ الخطأ والمعاناة في جودة تحقيق الاهداف فحينما تجد مثلا الكثير والكثير من القيادات في المنظمات التعليمية غير مؤهلة وغير قادرة في بناء الرؤية والرسالة والاهداف لانشطتها التعليمية وضمن برامجها التخطيطية سواء على مستوى عميد او رئيس قسم علمي وافقارهم لمفاهيم الاسس العلمية في تنفيذ برامج التخطيط الصحيح للعملية التعليمية في مجال عملهم لذلك فانك تجد اننا وقعنا في الشرك دون ان نعي الى النتائج ووضعنا الشخص غير المناسب في المكان المناسب الذي يتبوءه لاعتبارات مختلفة معروفة لنا جميعا ولا داعي للتعريج عليها . واليك مثال اخر تجد فيه عدم قدرة وادراك مؤسساتنا التعليمية في تحديد متطلبات سوق العمل من الخرجين وبالاختصاصات المختلفة وبشكل خاص في حدود الاختصاصات الانسانية التي اصبح لامبرر للتوسع بها تماما وفتح اقسام مناظر لها في المنظمة التعليمية الواحدة او المنظمات الاخرى ضمن رقعة جغرافية محدوده ، حتى بلغت حد التخمة من الخرجين ،